فلسفة علاء الأسواني الاجتماعية والسياسية

د. توفيق رحمن وازكات[١]
د.سهيل أي [٢]

المدخل

عند ملاحظة الخريطة الأدبية لمسيرة مؤلفات علاء الأسواني[٣] ومكانته بين

١، أستاذ مشارك في قسم العربية، كلية أم إي أس فوناني

٢ أستاذ مساعد في قسم العربية، جامعة كيرالا

٣. علاء عباس الأسواني أديب وروائي وفنان وصحافي في الأدب العربي المصري المعاصر. وهو طبيب ماهر في طب الأسنان وممارس في عيادته مع حبه واهتمامه ليكون كاتبا ممتازا. بل عثر في رحلته الأدبية مسرحه الموافق عبر كتابة بارعة في الرواية العربية والصحافة معا. رفع علاء شعارا سياسيا بارزا في جميع مقالاته الصحفية وكرره دائما في أواخر سطورها، فهو 'الديمقراطية هي الحل'، حيث يطرح خلالها عدة تساؤلات وشبهات كمواطن مصري مهموم بحال بلاده الحضيضة. كان علاء الأسواني عضوا بارزا في تأسيس حركة كفاية وحاليا عضوّ في مجلس إدارة مركز الدوحة لحرية الإعلام. ومن أبرز أعمال علاء الأسواني في القصص والروايات هي "عمارة يعقوبيان" ٢٠٠٢م و"نيران صديقة" ٢٠٠٤م و"شيكاجو" ٢٠٠٧م و"نادي السيارات" ٢٠١٣م و"جمهورية كأنّ" ٢٠١٨م. وكذلك ألّف علاء الأسواني عدة مقالات صحفية مثيرة فجمعتها دار الشروق المصرية، ومعظمها منشورة بإشراف دار الشروق، ومن أهمها "الراقصون على النار" ٢٠٠٧م و"حادث مؤسف لضابط أمن الدولة" ٢٠٠٧م و"لماذا لا يثور المصريون؟" ٢٠١٠م و"هل نستحق الديموقراطية؟" ٢٠١١م و"مصر على دكة الاحتياطي" ٢٠١١م و"هل أخطأت الثورة المصرية؟" ٢٠١٢م و"كيف نصنع الديكتاتور؟" ٢٠١٤م و"حادث مؤسف لضابط أمن الدولة" ٢٠١٤م و"من يجرأ على الكلام" ٢٠١٥م.

معاصريه في هذا الجيل فالواضح أن من عوامل نجاحه هي دراسته المتواصلة للفكر الفلسفي والاجتماعي والسياسي ومعرفته العميقة بتاريخ مصر القديم والحديث، بل كان له معرفة واسعة بتاريخ العالم كله كما توجد في الأمور الواردة في رواياته الواقعية ومقالاته السياسية. ولهذا ساهمت دار الشروق المصرية بنشر أعماله لتكون شاهدا على محاولاته الفذة في مجال الصحافة، بل دعمت دار الشروق كتابته الثائرة المثيرة بلا خوف لومة لائم وتعابيره الحرة تجاه الرئيس المصري وحكمه في قضايا شتى مثل الحرية البشرية والديموقراطية حتى أجبرت الحكومة على تحظير نشر مقالاته في الجرائد أو على سحبه من المجلات والدوريات. هكذا تميز أفكار علاء الأسواني وآراءه بوجود نخبة وصفوة الإبداع وانتمى إلى المبدعين المصريين الذين تعدى تأثيرهم في المجتمع المصري والعربي إلى المجتمع العالمي باهتمامهم منارة فكرية مضيئة في صدر هذا الوطن.

إن دراسة الفلسفة والتاريخ والسياسة أدّته إلى الواقعية وكانت سمات كتابته مركّزة على البرجوازية هي طبقته وطبقة كبيرة في كل المجتمعات كبرجوازية السياسيين والموظفين والتجار، ولكنه لم ينس أن يصوّر قضايا الفقراء والمتسوّلين والمهمشين في المجتمع المصري، ويسعى الكاتب إلى كشف الهوة السائدة بين الطبقات العليا والوسطى والسفلى معتمدا على مستوى العيش واختلاف الغنى والفقر وتفاوت المرافق والتسهيلات بينهم. استطاع علاء الأسواني أن يعبّر أزمات الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية والجنسية كما عبّر آراءه صادقا عن التساؤلات السياسية المختلفة وقلقها الروحي المتصل والتوتر الاجتماعي المستمر.

يعتبر علاء الأسواني أحد من الكتاب الذين كرسوا حياتهم الأدبية للدفاع عن الشعب المصري ضد الظلم الواقع والقهر الطاحن في العصر الراهن، بيد أنه كان من الروائيين المعدودين الذين أتوا في أعمالهم الصحفية بالقيم الاجتماعية والعدالة الإنسانية والحرية للتعبير والحاجة الملحة إلى الديمقراطية. إن معظم كتبه التي تضم مجموعات مقالاته منتشرة في الجرائد المتسلسلة تعالج قضايا الإنسانية. عند تحليل

جميع مقالاته يلاحظ أن جهده الأكاديمي الجادّ جهد رائع مهم يستحق من الاحتفاء والتقدير. ومن أهم خصائصه التي اتخذها الكاتب في نهاية مقالاته الصحفية شعارا جاذبيا مؤثرا هو 'الديموقراطية هي الحل'. هكذا أصدرت دار الشروق مقالاته الصحفية الثورية وآراءه الجريئة بلا مبالغة ساحقا على تهديد حزب الحاكم المصري. قبل أن يتجه إلى مجال السياسة الذي اشتهر فيه بآرائه السياسية المعارضة على حكم مصر بداية من عصر الرئيس حسني مبارك. وفي هذه الفترة كتب عدة مقالات معادية في الجرائد العربية وكتب مقالا أسبوعيا بجريدة الدستور والشروق ومصري اليوم، ورغم أنه كان يكتب شهريا بجريدة العربي الناصري.

إسهاماته في الفلسفة الاجتماعية والسياسية

جمعت علاء الأسواني مقالاته الصحفية المثيرة في كتب مختلفة ومعظمها منشورة بإشراف دار الشروق المصرية، ومن أهمها الراقصون على النار ٢٠٠٧م، حادث مؤسف لضابط أمن الدولة ٢٠٠٧م، لماذا لا يثور المصريون؟ ٢٠١٠م، هل نستحق الديموقراطية؟ ٢٠١١م، مصر على دكة الاحتياطي ٢٠١١م، هل أخطأت الثورة المصرية؟ ٢٠١٢م، كيف نصنع الديكتاتور؟ ٢٠١٤م، حادث مؤسف لضابط أمن الدولة ٢٠١٤م، من يجرأ على الكلام ٢٠١٥م وحوار بين شاب ثوري ومواطن محبط[١]. عالج علاء الأسواني في مقالاته موضوعات مختلفة المتنوعة مثل الدين والعلم والأدب والسياسة والقيم الإنسانية والقيم الوطنية والعدالة الإنسانية والاجتماعية والديموقراطية والديكتاتورية والانتخابات الحرة والمشكلات الوطنية ومظاهرات الشعب المصري على استبداد الحكومة.

لماذا لا يثور المصريون؟

هذه آراء جريئة واردة من علاء الأسواني، والتي ترتكز جميع كتاباته الصحفية

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.m.wikipedia.org)

والأدبية على محاربة طغيان السلطة والفساد والرجعية في العالم العربي ومصر على وجه التحديد. أصدرت دار الشروق المصرية كتابا بعنوان "لماذا لا يثور المصريون؟". يؤكد فيه أن الأوضاع الداخلية في مصر تكفي لإشعال عشر ثورات في بلد آخر، ولكن خبرة الجماهير الأليمة مع القمع والتعذيب جعلهم يبتعدون قدر الإمكان عن السلطة، بل يسخرون منها أحيانا ولا يفكرون في اعتراض عليها. كان معظم الناس يعملون ليكسب القوت والحاجات الضرورية في ديدنة حياتهم ويربي الأولاد مع تربية لازمة وينعم ببعض المتع الصغيرة، فلماذا يعبأ المواطن بمن يحكمه وهو لم يختره، وإن القمع بكل أسف سلوك مألوف في مصر، بل هو تراث يحمله داخل جميع المصريين[١].

شهد علاء الأسواني حادثة مؤسفة في المرور أنها يضرب ضابط الشرطة سائقا بلطمة عنيفة ويجره جرا على الطريق، فجثم عليه شعور مؤلم بالكآبة والعجز. فلما عزم علاء أن يرد على الضباط ثار غضبه فجأة، بل أهانه وتحدى رجولته. وما إن وصل علاء الأسواني إلى البيت حتى كتب خطابا إلى بريد الأهرام عن الواقعة بالتفصيل. مرت أسابيع ولم ينشر بريد الأهرام رسالته فشعر في نفسه حزنا فإذا ما طرح السؤال: "لماذا لا يثور المصريون؟ "والحق أن في مصر من الظلم والفساد والاستبداد ما يكفي لإشعال عشر ثورات في بلد آخر، فلماذا لا يثور الناس في بلادنا؟[٢].

إن كان هناك زعيم حقيقي ومخلص، صدقه الناس وعقدوا عليه الأمل وثاروا بقيادته على الظلم. هكذا حدث مع سعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر، حتى أنور السادات اجتمع حوله المصريون ليخوضوا حرب التحرير عام

---

١ . المرجع السابق

٢. الأسواني، علاء، لماذا لا يثور المصريون؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٠، ص ١٠

١٩٧٣م، فلما انتهى السادات إلى الصلح مع إسرائيل، عاد المصريون وانسحبوا إلى داخلهم ورحلوا يتفرجون على الأحداث[١]. إنما يمنع المصريين من احتجاج خبرتهم الأليمة بالقمع ويأسهم الكامل من الإصلاح. وقد تعود المصريون أن يبتعدوا عن السلطة بقدر الإمكان، وهم يتجاهلونها ويتحملون أذاها، يعملون ويكسبون ويربون الأولاد. والحق أن المصري لا يعبأ كثيرا بمن يحكمه: أولا لأنه لم يسمح له أبدا باختيار حكامه وثانيا لأن معظم الحكام عادة ما يتشاجرون في الظلم والفساد[٢].

يرفع علاء الأسواني سؤالا دائما متعلقا بقيم الاجتماعية والسياسية ويصرخ ضجة كبيرة لإنجاز حقوق الشعب المصري في وطنهم، طالما يقارن هذا المكان سمات الديمقراطية في بلده وبلاد الغرب عاما وأوروبا خاصا. ما هو الفرق بين الديمقراطية والدكتاتورية وغيرها؟ فالوزراء في نظام ديمقراطي ساسة منتخبون، يؤدون واجبهم ثم يقرر الناخبون بعد ذلك استمرارهم في مناصبهم أو رحيلهم عنها. أما الوزير في مصر فليس سوى موظف كبير، يعينه الرئيس لأسباب لا يعلمه سواه ويقيله من منصبه إذا أراد في أي لحظة، ومن هنا لا يعبأ الوزير المصري إطلاقا بالرأي العام، لأن كل ما يهمه هو إرضاء الرئيس، ولا يمكن لمثل هؤلاء الوزراء أن ينجزوا شيئا ذا بال ولا يمكن أبدا أن يعلنوا مسئوليتهم عن تقصير أو خطأ[٣].

هل نحتاج إلى المستبد العادل؟

عارض علاء الأسواني على الرئيس المصري حسني مبارك معارضة شديدة بكتاباته المستمرة في الجرائد مثل مقالته في جريدة الشروق التي أصدرت ٤ مايو ٢٠١٠ بعنوان هل نحتاج إلى المستبد العادل؟ إنه يعارض فيه عن استبداد وفوضى

---

١. المرجع السابق، ص ١١

٢. المرجع السابق، ص ١٠

٣. المرجع السابق، ص ١١

من جانب الحكومة، كان مئات المواطنون في مصر ينامون منذ شهور مع زوجاتهم وأطفالهم في الشارع أمام مجلس الوزراء ومجلس الشعب. هؤلاء النائمون في العراء مندوبون عن ملايين المصريين الفقراء الذين ضعفت أحوالهم لدرجة أنهم لا يجدون ما ينفقون به على أولادهم. على أن رئيس الوزراء المصري أحمد نظيف لم يكلف نفسه مشقة الخروج إلى هؤلاء البؤساء والانتماء إليهم أو محاولة مساعدتهم بأية طريقة بل إنه تركهم وسافر مع عروسه الجديدة في رحلة استجمام[١].

أما الشبان في مصر الذين تظاهروا من أجل تعديل الدستور وطالبوا بالحرية وإلغاء قانون الطوارئ، فقد تم ضربهم وسحلهم واعتقالهم بواسطة قوات الأمن المركزي، بل إن بعض نواب حزب الحاكم طالبوا بإطلاق الرصاص عليهم. لماذا تتعامل السلطات في مصر مع مواطنيها باعتبارهم مجرمين أو حيوانات؟ وإنما هو السياسي[٢]. أما الحاكم في دولة أخرى وهو منتخب في نظام ديموقراطي فهو يعلم إنه خادم للشعب الذي هو مصدر السلطات جميعا ويعلم أيضا أنه لو خسر ثقة الناخبين فإن ذلك يعني نهاية مستقبله السياسي. أما أحمد نظيف فهو ليس منتخبا من الأساس وإنما هو المعين من الرئيس حسني مبارك، وبالتالي إنما يهمه ليس ثقة الناس وإنما رضا الرئيس، كما أن الرئيس مبارك نفسه لم ينتخبه أحد وإنما هو يقبض على السلطة منذ ثلاثين عاما بواسطة القمع المزورة.

وفي رأيه أنّ بعض المصريين ما زالوا يحملون بالمستبد العادل وهذه الفكرة تشير تماما إلى مثل، اللص الشريف أو المومس الفاضلة. ليست سوى تعبيرات وهمية فارغة من المعنى إذ كيف يكون المستبد عادلا إذا كان الاستبداد ذاته ظلما فاحشا؟ إن فكرة المستبد العادل قد تسرب إلى العقل العربي عبر عصور طويلة من الاستبداد.

---

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرةhttp://ar.m.wikipedia.org ()

٢ . الأسواني، علاء، هل نحتاج إلى مستبد العادل؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م

ولكن الإسلام الحقيقي قد قدم نموذجا ديموقراطيا عظيما قبل أوروبا بقرون طويلة. يكفي هنا نموذجا حسنا أرانا رسول الله (ص) أنه لم يختر خليفة له ليترك للمسلمين حرية اختيار من يحكمهم بل إن ثلاثة من خلفاء الراشدين الأربعة كانوا منتخبين من الناس وخاضعين تماما للرقابة الشعبية كما يحدث اليوم في أفضل بلد ديموقراطي. إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، أول حاكم في الإسلام، ما أن تولى السلطة حتى خطب قائلا: "أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[١].

هذه الخطبة العظيمة قد سبقت الدساتير الحديثة بقرون في تحديد العلاقة الديمقراطية بين الحاكم والمواطنين. على أن ديموقراطية الإسلام الأولى قد انتهت سريعا لتبدأ عصور طويلة من الاستبداد، وضع خلالها فقهاء الدين عند السلطة في خدمة الحاكم فنزعوا من المسلمين حقوقهم السياسية وأسسوا الفكرتين في منتهى السوء والخطورة. الفكرة الأولى "إن الحكم لمن غلب" وهي تمنح الشرعية لكل من يغتصب السلطة ما دام يستطيع الحفاظ عليها بالقوة، والفكرة الثانية "إن طاعة المسلمين للحاكم واجبة حتى وإن كان ظالما أو فاسدا"[٢]. هاتان الفكرتان أحدثتا فجوة في وعي المسلمين بالديموقراطية ما جعلهم أميل للإذعان وأكثر قابلية للاستبداد من الشعوب أخرى. ومن إثر إصدار مثل هذه المقالة لعلاء الأسواني، أجبرت عن إيقاف نشر مقالته الأسبوعية في جريدة الشروق بسبب ضغوط سياسية على الجريدة.

حركة كفاية: حركة مصرية سياسية من أجل التغيير

قد وصلت أوضاع مصر إلى الحضيض، فصار معظم المصريين يطالبون

---

١ . المرجع السابق

٢ . المرجع السابق

بالتغيير الذي يحقق لهم العدل والكرامة والحرية. يجب أن ندرك أن التغيير لن يتحقق أبدا بواسطة شخص مهما تكن نواياه حسنة وأخلاقه فاضلة. التغيير سوف يتحقق بنظام جديد عادل يتعامل مع المصريين باعتبارهم مواطنين كاملي الأهلية والحقوق وليسوا رعايا وعبيدا لإحسان الحاكم. عندما يتمكن المصريون، بإرادتهم الحرة، من انتخاب من يحكمهم ومن يمثلهم فى مجلس الشعب، عندما يتساوى المصريون جميعا أمام القانون. عندئذ فقط سيبدأ المستقبل وسيكون رئيس الجمهورية فى مصر حريصا على كرامة كل مواطن تماما، ومن هذه الفكرة أُسّست حركة كفاية. ضمت حركة كفاية مختلف القوى السياسية المصرية التي جمعها رفض بفترة رئاسية خامسة لمحمد حسني مبارك، وإجهاض ما رأته من مناورات سياسية وتشريعية وإعلامية حسني مبارك ممهدة لتولية ابنه جمال مبارك الرئاسة من بعده، ورفعت المصريون من شتى الزوايا السياسية المصرية شعارا "كفاية"[١].

التأسيس والنشأة

اجتمع ٣٠٠ مفكر مصري من مختلف الخلفيات الأيديولوجيا في نوفمبر ٢٠٠٤م في منزل قائد حزب الوسط أبو العلاء ماضي ليؤسسوا حركة مصرية من أجل التغيير التي تُعرف بشعارها كفاية. عقد الاجتماع لتناول الفرص السياسة المتاحة على ضوء الانتخابات التشريعية في العام ٢٠٠٥ووافقت المجموعات على إنشاء لجنة مصغرة تضم ٧ أعضاء. عُقد مؤتمر بعد فترة قصيرة حضره أكثر من ٥٠٠ شخص وأدى إلى إنشاء حركة كفاية. لا تُعتبر كفاية حزبا سياسيا وغير هادفة للوصول إلى السلطة بل تُعد ائتلافا يضم قوى السياسية التي توحدت دول الدعوة المشتركة لإنهاء حكم الرئيس حسني مبارك. فإنها استطاعت أن تجتذب الكثير من المثقفين المعتدلين والذين لا يسعون للحكم وهذا هو ما زاد من شعبيتها.

---

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.m.wikipedia.org)

تشكلت حركة كفاية في بداية عملها من كل الأطياف السياسية والفكرية المصرية، فجمعت بين العلماني والإسلامي والقومي الناصري والاشتراكي وغير ذلك، وتُمثل وثيقة تأسيسية تطالب بتغيير سياسي حقيقي، وإنهاء الظلم الاقتصادي والفساد في السياسة الخارجية. كان علاء الأسواني عضوا في تأسيس هذه الحركة، ومن أبرز قيادات الحركة الدكتور عبد الوهاب المسيري، والأستاذ جورج اسحاق وأمين إسكندر وأبو العلاء ماضي وأحمد بهاء والأستاذ كمال خليل وغيرهم. شجع علاء الأسواني الحركة وأعضاءه بكتابته المستمرة معارضة على استبداد الحكومة والظلم والقمع على المواطنين المصريين وعصبية على القبطيين[١].

الأمر الأول هو المخاطر والتحديات الهائلة التي تحيط بالأمة العربية والمتمثلة في الغزو والاحتلال الأميركي للعراق، والاغتصاب والعدوان الصهيوني المستمرين على الشعب الفلسطيني، ومشاريع إعادة رسم خريطة الوطن العربي وآخرها مشروع الشرق الأوسط الكبير، الأمر الذي يهدد القومية والهوية العربية، مما يستتبع حشد كافة الجهود لمواجهة شاملة على كل المستويات السياسية والثقافية والحضارية، حفاظا على الوجود العربي لمواجهة المشروع الأميركي الصهيوني. أما الأمر الثاني، فهو أن الاستبداد الشامل الذي أصاب المجتمع المصري يستلزم إجراء إصلاح شامل سياسي ودستور يضعه أبناء هذا الوطن، وليس مفروضا عليهم تحت أي مسمى، مع الإشارة إلى ضرورة أن تتضمن عملية الإصلاح إنهاء احتكار السلطة، وفتح الباب لتداولها ابتداء من موقع رئيس الدولة، لتتجدد الدماء وينكسر الجمود السياسي والمؤسسي في كافة المواقع بالدولة، وإعلاء سيادة القانون والمشروعية واستقلال القضاء، وإنهاء احتكار الثروة الذي أدى إلى شيوع الفساد والظلم الاجتماعي وتفشي

١ . المرجع السابق

البطالة والغلاء[١].

أهداف حركة كفاية السياسية

كان لحركة كفاية برنامج خاص في مجال السياسة الداخلية والخارجية، وتواقف مؤسسوها على أهداف واضحة وضمنوها في البيان التأسيسي الذي وقعوه، أنهم اجتمعوا على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية لمواجهة أمرين أساسين مترابطين فيما بينهما على مبدأ السبب والنتيجة. ومن أهم أهدافها السياسة الداخلية هي:

١. كسر قبضة الحزب الحاكم على السلطة وإنهاء الاحتكار الحالي للسلطة على جميع المستويات بدءا من الرئيس الجمهورية.

٢. إنهاء قانون الطوارئ المعمول به حاليا منذ رُبع قرن

٣. ترسيخ حكم القانون هو مصدر الشرعية العليا

٤. السماح للمواطنين باختيار الرئيس ونائب الرئيس من بين عدد المرشحين ومن خلال انتخابات مباشرة

٥. الحد من مدة ولاية الرئيس لكي لا تزيد على مرتين

٦. فصل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، ووضع الضوابط والتوازنات المستقلة لكل منها

وأما أهدافها السياسية الخارجية فهي:

١. معارضة نفوذ الولايات المتحدة وإسرائيل في المنطقة

---

١ . المرجع السابق

٢. استعادة مكانة مصر المشروعية والأساسية في الأسرة الدولية[١]

حركة كفاية والتوجه الأيديولوجيا

منذ بدايتها ركزت الحركة على رفضها للتجديد للرئيس حسنى مبارك لفترة رئاسة خامسة ورفضها ما رأته من مناورات سياسية وتشريعية وإعلامية هدفها لتولية الخلافة إلى ابنه جمال مبارك الرئاسة من بعده، فرفعت الحركة شعارا 'لا للتمهيد، لا للتوريث'. استخدمت حركة كفاية شعارات ثورية لتدعو إلى الإصلاح السياسي وانتقدت فساد الحكومة وحالة الطوارئ السارية في مصر منذ ١٩٨١م. جذبت حركة كفاية انتباه وسائل الإعلام الأجنبية على أنها قوة التغيير، فلجأ نظام اتخاذ تدابير عنيفة لاحتفاء حركة كفاية ومنها الاعتداء الجسدي والتوقيف والاحتجاز من دون تهمة أو محاكمة، والتعذيب وحتى التحرش الجنسي والاغتصاب بحق المتظاهرات كما استخدم النظام وسائل الأعلام التي يتحكم بها لتخريب حركة كفاية.

ثم تحالف حركة كفاية لمختلف القوى السياسية مثل أعضاء حزب الوفد الجديد والحزب الناصري وحزب العمل وحزب الوسط وحزب الكرامة، إضافة إلى أعضاء المستقلين من الإخوان المسلمين. وطرح قائمة من مشتركة من ٢٢٥ مرشحا بناء على برنامج يدعو إلى مصطلحات دستورية واعتماد تدابير لمكافحة الفساد. لم تنجح حركة كفاية في تحقيق أي من الإصلاحات السياسية الشاملة التى أرادتها في برنامجها ولكنها نجحت أن كسر حاجز المحرمات في معارضة النظام بشكل مباشر، مثل ذلك تحقيق استقلال الجامعات، وطلاب من أجل التغيير، وحركة العمال من أجل التغيير، وصحفيون من أجل التغيير، وحركة القضاة المصريين، وحركة الشباب والأطباء والكتاب والفنانون من أجل التغيير. واستخدمت حركة كفاية الوسائط

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.m.wikipedia.org)

الاجتماعية والإنترنت واستفادت منها لتكون الوصيلة الأساسية للتواصل والحشد[١].

توسع عمل وتأثير حركة كفاية وامتدت إلى ٢٢ محافظة من أصل ٢٩، وباتت مزعجة لنظام الرئيس حسني مبارك الذي رد على ذلك بحملات اعتقال زادت من حجم التعاطف الشعبي معها، ودُعمت إعلاميا بسقف مرتفع من النقد لشخصيات كان من المحظور قبل ظهور "كفاية" الإشارة إليها، مثل أفراد أسرة الرئيس المصري وخاصة زوجته وولده جمال مبارك المرشح لخلافته. وساعدتها بنيتها التنظيمية الشبكية على الحركة بمرونة كبيرة، فخرجت من عباءتها كوادر وأفكار استخدمتها الأحزاب السياسية وجماعة الإخوان المسلمين في نشاطات موازية. ساعدها أكثر في زيادة شعبيتها إعلانها عدم سعيها للوصول إلى السلطة في استقطاب مثقفين لهم وزنهم في الساحة الفكرية والثقافية والسياسية المصرية، كالمفكر الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور أمين إسكندر.

حركة كفاية ومسارها

ساهمت حركة كفاية في مظاهرات احتجاجية كثيرة، أبرزها مظاهرة يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٥م بمناسبة الاستفتاء على الدستور وتحديدا تعديل المادة ٧٦ منه، ومظاهرة ٦ أبريل ٢٠٠٨م ضمن دعوة إلى تنظيم إضراب عام في مصر. وردت حركة "كفاية" على تلك الانتقادات بأنها لم تعلن نفسها حزبا سياسيا حتى تقدم برنامجا للإصلاح وإدارة الدولة أو تأسيس نظام جديد، بل هي إطار لتحريك المياه الراكدة في المشهد السياسي المصري، وانتزاع الحريات المدنية وإيصال صوت الأغلبية الصامتة. شاركت "كفاية" في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، وكان لها دور مقدر في إسقاط حكم حسني مبارك، لكن التصدع ظهر في جدرانها بعد تفرق رأي أطرافها واختلافهم الذي بدأ في مارس ٢٠١١م في كيفية التعامل مع الوضع الجديد وخاصة مع المجلس العسكري

---

١. المرجع السابق

وإدارة المرحلة الانتقالية. وبعد الانتخاب القيادي في جماعة الإخوان المسلمين ورئيس الحزب السياسي المنبثق عنها حزب الحرية والعدالة محمد مرسي رئيسا لمصر، انسحب منها الكثير من رموزها وغادرتها أحزاب وتيارات سياسية[١].

كان علاء الأسواني أيضا من أهم الداعمين للدكتور محمد البرادعي قبل أن يصل إلى مصر، ومن أهم الذين مهدوا له الطريق لإحداث تغيير حقيقي في الواقع السياسي المصري، وهو أيضا من أهم مؤسسي الجمعية الوطنية للتغيير، التي مهدت لحدوث الثورة ٢٥ من يناير. لما وصل الدكتور البرادعي إلى مصر كتب علاء الأسواني في جريدة الشروق بعنوان "مصر التي استيقظت"، كان ذلك في ٢٣ فبراير ٢٠١٠م بعد وصول البرادعي بأربعة أيام، والذي يمكن أن نقول إنه كان نبوءة علاء الأسواني بحدوث الثورة قبل حدوثها، بدا متفائلا بيقظة الشعب المصري، وهو ما لمسه من حديثه معهم خلال استقبالهم للدكتور البرادعي في مطار القاهرة ليلة وصوله. استمر الدكتور الأسواني في دعم البرادعي والجمعية الوطنية للتغيير، وأوقفه نظام مبارك عن الكتابة في أكتوبر من نفس العام، لكن التوقف لم يستمر طويلا، إذا جاء الطوفان بعدها بثلاثة شهور فقط، لينصف علاء الأسواني، وليتحقق حلمه بالتغيير الذي لطاما حلم به ودعا له على صفحات الجرائد من خلال مقالاته وأعماله الأدبية وأحاديثه الصحفية[٢].

يقول البعض إن ما آلت إليه الحركة شيء طبيعي لثلاثة أسباب: الأول، أنها حققت أحد أهدافها وهو التصدي لحسني مبارك ورفع بطاقة "لا" في وجهه ووجه نظامه. والثاني، أنها ليست كتلة منسجمة فكريا وزاد تشرذمها بعدما انخرطت في جبهة الإنقاذ للمطالبة بإسقاط مرسي فولدت منها حركة تمرد، وهيمن عليها التيار

---

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.m.wikipedia.org)

٢ . المرجع السابق

العلماني. لكنها بعد سقوط حكم حسني مبارك، بدأت الاختلافات تدب في صفوفها وخاصة بعد انتخاب محمد مرسي رئيسا للجمهورية، حيث غلب عليها إجمالا التوجه العلماني وباتت معادية لأحد أهم مكوناتها وهو الإخوان المسلمون. وفي حين أعلن البعض وفاة الحركة في ذكرى تأسيسها العاشرة، أصر آخرون على بقائها وإصدار بيانات باسمها رغم تراجع حجمها ومناصريها وسط الشعب المصري، خاصة لما أيدت الانقلاب على الرئيس مرسي، وفرض الحاكم الجديد لمصر عبد الفتاح السيسي قانون تظاهر الذي منع المظاهرات إلا بشروط تعجيزية.

وفي ظل الوضع المصري الجديد في عهد السيسي، اكتفت الحركة بالخرجات الإعلامية في مناسبات متعددة لاسترجاع مكانتها، وأطلقت في الذكرى العاشرة لتأسيسها حملة "حاكموهم على ٣٠ سنة فساد"، كما عبرت عن عدم قبولها بأحكام قضائية برأت الرئيس المطاح به حسني مبارك ونجليه وعدد من رجال نظامه. لكن ذلك لم يفلح في تحقيق هدفها لأنها تفتقر إلى الجرأة للمطالبة بالتحقيق فيما جرى من قتل للمئات في ميدان رابعة والنهضة وانتقاد خنق الحياة السياسية والحريات وحقوق الإنسان. واستبعد كثيرون نجاح محاولات بعض الشباب إحياء حركة كفاية مجددا لمعاناتها من أزمة منهج حسب المحلل السياسي وائل عبد الفتاح، ورجحوا نهايتها الفعلية لأنها من جهة لم تكن سوى حديقة خلفية لعناصر كانت نشطة في أحزاب سياسية شلها الجمود السياسي، وسرعان ما عادوا بعد ثورة ٢٥ يناير لأحزابهم، ولذلك باتت مجرد "شاهد قبر". أخيرا، نجحت هذه الحركة جزئيا بأعمالها المستمرة حتى تنحى الرئيس حسني مبارك من عرش مصر خلال مظاهرات في "ساحة تحرير" في القاهرة وحشد فيه مليون من المتظاهرين في ثورة يناير ٢٠١١م[١].

حركة كفاية وعلاء الأسواني

١ . ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.m.wikipedia.org)

كان علاء الأسواني عضوا حاسما في تأسيس حركة كفاية وقد أثرت مؤلفات علاء الأسواني ومقالاته في الطلاب والشباب والكبار بمصر والتي أدخلتهم إلى عالم السياسة. كانت مقالاته تصف حالة المصريين وهمومهم وتحلل أوضاعهم بأسلوبه العبقري، وتفضح كذب حكوماتهم ورئيسهم وكانت المقالات تدعو المصريين إلى المطالبة بالديمقراطية وبحقوقهم السياسية، وتدعوهم للثورة من أجل حقوقهم السياسية، بل إن له كتابا عنوانه "لماذا لا يثور المصريون" صدر أثناء حكم المخلوع مبارك. هؤلاء الذين كانوا يصدقون أن مبارك الأب ونحن الأبناء، وأنه بطل الحرب والسلام وصاحب الضربة الجوية الأولى وما إلى ذلك من أكاذيب، حتى جاء علاء الأسواني، وجعله يبدو كالمهرج، مجرد "بلياتشو" يلبس قناعا.

إن الكاتب هو أحد من القلائل الذين تنبّهو مبكرا لخطر التوريث، وظل يكتب المقالات التي تنذر الناس بخطر حقيقي يحدق في مصر، وهو توريث كرسي الحكم من الأب للابن. هو واحد من أبرز أصوات الأدب في مصر والعالم العربي، هو أيضا الناشط السياسي العتيد، وواحد من أقوى وأقدم أعداء نظام المخلوع حسني مبارك، هو كاتب المقالات السياسية التي ترتعد منها أنظمة الحكم في مصر، والتي كان ينتظرها عشرات آلاف من القراء أسبوعيا أيام المخلوع مبارك، والتي زلزلت كلا من المجلس العسكري والإخوان ومن حكمونا بعد ٣٠ يونيو، وإلى الآن تشكل مقالاته وأراؤه مصدر قلق لأنظمة الحكم القمعية في مصر والوطن العربي.

سيذكر التاريخ علاء الأسواني كأحد معاول إسقاط حسني مبارك، التي ظلت تدق المسامير في نعش حكمه الواحد تلو الآخر حتى أسقطته، لم يضر الأسواني نباح الكلاب من إعلاميين النظام قبل الثورة ولا بعدها وخلال حكم الإخوان وخلال الفترة الانتقالية التي تلت الثلاثون من يونيو، ولن يضيره نباحهم أبدا، وسينصفه التاريخ، ليضعه في مصاف الثابتين على درب الحق، الذين لا يحيدون عنه مهما كانت المغريات، ومهما كانت التهديدات التي يتلقاها، سيظل الأسواني شوكة في حلق كل أنظمة الحكم القمعية في مصر، وفي المنطقة العربية من المحيط للخليج. عاش حلم

الأسواني، عاشت ثورة يناير رغم أنف كل فاسد وظالم وقاتل ومُضِل أو مُضَلَل.

مواقف علاء الأسواني السياسية

عزم علاء الأسواني مقاضاة دار نشر إسرائيلية بسبب قيامها بترجمة الرواية بشكل غير قانوني. وأكد الروائي علاء الأسواني رفضه التطبيع مع إسرائيل، وأن تقوم أي دار نشر إسرائيلية بترجمة أعماله الأدبية إلى اللغة العبرية. قال علاء الأسواني: "إن من سرق وطنا ليس من الغريب أن يسرق الإبداع الأدبي، وأنه ينتظر الحصول على النسخة العبرية من رواية "عمارة يعقوبيان" التي ترجمتها دور النشر الإسرائيلية بشكل غير قانوني". وأوضح أنه سيقدم العمل لاتحاد الناشرين العرب، وسيرفع الأمر لاتحاد الناشرين العالميين بفرنسا لاتخاذ الإجراءات القانونية من أجل الحصول على التعويض الذي سيقدمه للشعب الفلسطيني تعبيرا رمزيا عن التضامن معه. وشدد الأسواني على أن المثقفين العرب يتخذون موقفا موحدا برفض التطبيع مع الكيان الصهيوني، مشيرا إلى أن التطبيع معه يعني اجتياز الجدار الشعبي وهذا ما يسعى إليه المسؤولون الإسرائيليون.

الخاتمة

اشتهر علاء الأسواني بآرائه السياسية المعارضة للأنظمة والحكم في جمهورية مصر ومناضلا شديدا على حكم الرئيس حسني مبارك واستبداده في تلك الفترة. أصبح علاء الأسواني كمحلل سياسي ذو قوّة مؤثرة في السياسة وفي المجتمع المصري حيث دعم احتجاجات الربيع العربي التي أجبرت الرئيس حسني مبارك على التنحي عن الحكم. كانت كتاباته ومؤلفاته تكاد تقيم على ضد الاستعمار الغربي والأميركي والصهيوني كما تصارع مع الأنظمة السياسية وقوى التخلف والتقاليد البالية المعيقة لحركة التقدم. وبهذا الصدد إنما هي تدافع عن القيم الإنسانية في مواجهة الجمود والظلم والاستحواذ والتخلف، وتسعى إلى الحرية والعدالة والسلام.

المصادر والمراجع

١. الأسواني، علاء، هل نحتاج إلى مستبد العادل ؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م
٢. الأسواني، علاء، لماذا لا يثور المصريون؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٠م
٣. الأسواني، علاء، هل نستحق الديموقراطية؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٠م
٤. الأسواني، علاء، مصر على دكة الاحتياطي، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١١ م
٥. الأسواني، علاء، هل أخطأت الثورة المصرية ؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م
٦. الأسواني، علاء، كيف نصنع الديكتاتور؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م
٧. الأسواني، علاء، من يجرؤ على الكلام؟، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠١٥م
٨. رجاء نقاش، علاء الأسواني موهبة روائية جديدة، الأهرام اليومي، ١٨ أغسطس ٢٠٠٢م
٩. الأسوانى، علاء، عمارة يعقوبيان، ط ٣، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م
١٠. أمين، د. جلال، محنة المصريين والأمريكيين في رواية شيكاجو، المصرى اليوم، العدد ٩٨٥، ٢٣ فبراير ٢٠٠٧م
١١. الأسوانى، علاء، شيكاجو، ط ٢٢، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م
١٢. أيمن الجندي، 'جمهورية كأن'، المصري اليوم، ١٧ – ٠٩- ٢٠١٨ (www.almasryalyoum.com)